

عودة الثنائية القطبية

هل هي الحرب الباردة؟ كيف نفسر تداخل الصراعات على المستوى الإقليمي والدولي؟ من المستفيد من بؤر التوتر المتنقلة من بلد لآخر؟ ما هي خلفيات النزاعات الدموية المحلية والإقليمية والدولية؟ العولمة إلى أين؟ ما هو مصير الأمركة في عالم متناثر ومتعدد الانتماءات؟ كيف هي علاقة الديني بالسياسي والاقتصادي بعد أحداث 11 أيلول وانقسام العالم إلى معسكرين - الإرهاب والديمقراطية- ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الوجودية والجهوية التي ترسم خريطة ومستقبل الإنسان العربي في زمن التحولات الكبرى - السياسية والثقافية والاقتصادية - وبروز نظريات وأطروحات تتعلق بالمنطقة على غرار نظريتي " الشرق الأوسط الكبير" و" الشرق الأوسط الإسلامي".

إزاء ما تقدم يصبح من مباح القول السؤال التالي : هل عادت الحرب الباردة ؟، وإذا كان الأمر كذلك بين من ومن تخاض هذه الحرب؟ ومن هم أطراف الصراع في الحرب الباردة الثانية؟

في النصف الثاني من القرن العشرين كانت الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي تشكلان ما سمي في حينه بـ "الجباران العالميان"، حيث تجلت القوة السياسية والاقتصادية

والعسكرية لهاتين الدولتين بأشكال مختلفة ومتعددة أفرزت نتائج على صعيد العالم بأسره، إذ انقسم العالم إلى معسكرين متنافسين - "المعسكر السوفيياتي الشرقي" و"المعسكر الأمريكي الغربي" - والدول المتحالفة معهما كل دولة بحسب رؤىها وتحالفاتها السياسية والاقتصادية والثقافية . وتصارع الجباران على أرض الآخرين في أفغانستان وهاونوي وكوريا وكوبا وكثير من الدول، لأنّ الاقتتال المباشر بين الجبارين آنذاك كان سيؤدي إلى كارثة طبيعية وإنسانية تصيب الكرة الأرضية لما يسببه استعمال السلاح الذري والنووي من أخطار على مستقبل البشرية، فكان البديل أن خاض الجباران حربهما على أرض الآخرين إلى أن انتهت هذه الأزمة المشكلة - الحرب الباردة- مع سقوط وزوال الإتحاد السوفيياتي لتنفرد الولايات المتحدة بالسيطرة على العالم ويدخل العالم عصر الأحادية القطبية التي انبثق عنها ما اصطلح عليه بـ "العولمة" الثقافية والاقتصادية والسياسية أو ما عرف بـ "أمركة العالم".

بعد مضي خمسة عشر عاماً استعادت روسيا الإتحادية بعض أنفاسها، وأصبح الإتحاد الأوروبي يمثل تكتلاً ضخماً اقتصادياً من خلال العملة الموحدة - اليورو- والسوق الأوروبية الموحدة، فضلاً عن أطروحة الشراكة الأوروبية المتوسطية مع دول البحر الأبيض المتوسط وجوارها، وسياسياً عبر العمل الأوروبي المشترك ووضع دستور لأوروبا الموحدة ينظم مؤسسات وقوانين الإتحاد والعمل

على التنسيق الدائم في السياسة الخارجية لدول أوروبا، وعسكرياً إذ الجهود تنصب على تنظيم القوات العسكرية الأوروبية في حلف موحد يواجه التهديدات التي قد يتعرض لها الإتحاد ومنها " الإرهاب" من خلال تبادل المعلومات الإستخبارية والتواصل الأمني مع كافة الأجهزة العاملة على مستوى الإتحاد هذا في أوروبا والغرب عامة.

أما في الشرق فقد برزت روسيا من جديد كلاعب أساسي في أكثر من منطقة في العالم مع بدء الألفية الثالثة تحت ظل إدارة الرئيس الحالي فلاديمير بوتين الذي عقد مجموعة من المعاهدات الاقتصادية والسياسية بالتنسيق مع دول ذات أهمية استراتيجية اقتصادياً وسياسياً كالصين وإيران ودول شرق آسيا، كما أنّ الحضور الروسي كان بارزاً في العديد من الأزمات الدولية كالأزمة الأوكرانية وأزمة مولودوفيا . وبالإنتقال إلى الشرق الأوسط تحديداً نسمع كلاماً للرئيس الإيراني أحمدني نجاد ولمرشد الثورة علي الخامنئي حول " الشرق الأوسط الإسلامي الجديد" وهزيمة المشروع الأمريكي في لبنان والشرق الأوسط.

هذه الوقائع السياسية والعسكرية على امتداد العالم الأوروبي والشرق الأوسط تدفعنا إلى القول بإمكانية عودة" الثنائية القطبية" مجدداً وإن بشكل مختلف هذه المرة مع اختلاف في الواجهات والأماكن والمسميات. فإذا كانت ولا تزال أمريكا هي

العامل الفاعل والأول في اللعبة الدولية وبالتالي تشكل قطباً أكيداً كان ولا يزال موجوداً، فهل يصح اعتبار إيران الجمهورية الإسلامية القطب الثاني المواجه لأمريكا والذي يحاول أن يأخذ دور الاتحاد السوفياتي السابق؟!.

لقد تمايزت المواقف الأوروبية عموماً والفرنسية بشكل خاص عن السياسة الأمريكية بخصوص الحرب على العراق، بالإضافة إلى العلاقة الأوروبية الإيرانية الحوارية حيال الملف النووي الإيراني. فبينما ذهبت أمريكا إلى احتلال العراق بالقوة رغم معارضة ملايين الناس لهذه الحرب على امتداد العالم، وكانت ولا تزال - أمريكا- تدعو إلى استعمال القوة إزاء إيران وتعمل على فرض عقوبات اقتصادية عليها، فضلاً عن الموقف الأمريكي المتشدد بخصوص الملف النووي الإيراني لكوريا الشمالية. نجد انفتاحاً أوروبياً فرنسي الطابع على إيران وبالتالي محاولة التوصل مع إيران إلى حل سلمي لبرنامجها النووي من خلال الحوار، حتى أنّ أوروبا لا تزال تتعامل مع الجمهورية الإسلامية بشكل طبيعي حيث لا تزال الصفقات التجارية والمعاهدات الاقتصادية سارية المفعول حتى أنّ إيران لجأت مؤخراً إلى اعتماد اليورو كعملة اقتصادية عوضاً عن الدولار ولهذه الخطوة أبعاد سياسية واقتصادية ذات أهمية بالنسبة لأوروبا وإيران. فهل تسعى أوروبا- فرنسا- لمواجهة التفرد الأمريكي بواسطة الآليات الإيرانية؟! ثمّ ما حكي عن صفقة تجارية بين إيران وروسيا

طويلة الأمد بقيمة 70 مليار دولار مقابل التعاون النووي والعسكري بين البلدين؟ وإذا أضفنا إلى الموقف الروسي الداعم لإيران النووية - محطات التوليد- في مجلس الأمن الاتفاقيات التجارية بين إيران والصين - القوة الاقتصادية الكبيرة في الشرق - يصبح من الجائر التساؤل عن الخلفيات السياسية لقوى المعسكر الشرقي القديم وعمّا إذا كانت هذه الدول ترغب بالثأر لهزيمتها أمام القطب الأمريكي الأوحده بواسطة إيران؟!

وفي المحصلة إذا أردنا أن نرسم خريطة الصراع في الشرق الأوسط بدءاً من فلسطين مروراً بلبنان وسوريا - الحليف المركزي لإيران- وصولاً إلى العراق وما يعانيه من حروب واقتتال داخلي - الفتنة المذهبية - وخارجي - الاحتلال الأمريكي- ندرك عمق التأثير والحضور الإيراني في جميع المعادلات الأنف ذكرها. حتى بات السؤال المطروح اليوم هو هل تخوض حماس داخل فلسطين حربها ضد إسرائيل باسم مشروع " الشرق الأوسط الإسلامي الإيراني الجديد"؟ مع الإشارة إلى زيارة رئيس الحكومة الفلسطينية الحالية اسماعيل هنية إلى إيران وما حكي عن مساعدات إيرانية تعهدت بها طهران لحكومة حماس.

وبالعودة إلى لبنان وحرب الثلاثة والثلاثين يوماً التي جرت بين قوات حزب الله الموالي لإيران بالبيعة والولاء وقوات الجيش الإسرائيلي وما أفرزته هذه الحرب من نتائج سياسية واقتصادية وعسكرية

للتحول هذه النتائج إلى ورقة ضغط لتوظف لاحقاً لبنانياً وإقليمياً فقد كان الصوت واللون الإيراني فيها فاقعاً، مادياً - أموال ومساعدات عينية وغيرها-، ومعنوياً - الفتاوى والتظاهرات المؤيدة لحزب الله، التصريحات والمواقف الداعمة للحزب، وعسكرياً - السلاح والحرس الثوري الإيراني-، مما يؤكد أنّ حرب تموز 2006 كانت حرباً أمريكية إيرانية على أرض لبنانية.

أما العراق فحدث ولا حرج، فقد تسربت بعض التقارير إلى وسائل الإعلام تؤكد أنّ بعض أعضاء الحكومة والبرلمان في العراق هم من إيران أو من أصول إيرانية، كما أنّ الدوائر الحكومية تم إختراقها من قبل أعضاء في الحرس الثوري والمخابرات الإيرانية، وليس الجيش العراقي بأفضل حالاً، وفضلاً عن فرق الموت الطائفية والمذهبية التي تتلقى أموالاً ودعماً عسكرياً ولوجستياً من إيران، كل هذه الوقائع تجسد الحرب الإيرانية الأمريكية في العراق.

إنّ جميع ما تقدم من حيثيات ووقائع على مستوى القاتين الآسيوية والأوروبية محاولة التصدي للتفرد الأمريكي بأشكال مختلفة وترأس إيران لمشروع المواجهة مع أمريكا وإعلانها عن ولادة " الشرق الأوسط الإسلامي الجديد " وتغطية الأوروبيين والروس للبرنامج النووي الإيراني وامتصاص فرنسا وغيرها من دول أوروبا من التصرفات الأمريكية في المنطقة يدفعني إلى الاعتقاد ولو نظرياً بأنّ الحرب الباردة الثانية قد ابتدأت وأنّ الأحادية القطبية باتت أمام

ولادة قطب ثان تدعمه أطراف دولية عديدة، لتمثل المواجهة القادمة بين أمريكا المحافظين الجدد وإيران الملاهي الجدد بما تخفيه هذه المواجهة من مصالح غير مباشرة وظاهرة لكل من روسيا الاتحادية والاتحاد الأوروبي اللذين يقفان وراء هذه الظاهرة، وحتى يتضح الموقف يبقى أنّ العرب خارج هذه اللعبة الدولية كمقررين وأنهم أصبحوا أدوات بيد الفرس من جهة والغرب من جهة ثانية مع غياب التنظير العربي لرؤية سياسية واقتصادية نهضوية في عالمنا العربي المعاصر.

فيا دارها بالحنن إنّ مزارها قريب ولكن دون ذلك أحوال

نادر جميل جمعة